الأنساق الثقافية في المجاميع القصصية
"الشبرق" لزهرة الرميج–"المجموعة القصصية" أنين الماء" أنموذجا

حفيظة عبود
طالبة بسلك الدكتوراه بجامعة السلطان مولاي سليمان، بني ملال
تحت إشراف الدكتور الشرقي النصراوي
المغرب

الملخص:

يعد المبدع ابن بيئته، وإبداعه نتاج التجارب الظاهرة والخفية تجعله يتميز عن غيره من آداب الثقافات الأخرى في الرؤية والتصور والمعالجة، ولما كان الأمر كذلك، كان الأدب قالبا فنيا يحتوي كل ما ترسب في نفسية المبدع، ولاشعوره، ولاوعيه، أو عقله الباطن، كما يجسد الوعي الجمعي الذي ينتمي إليه، ويضمر إبداعه الأنساق الثقافية لها خلف تعبيره الجمالي ومستوياته البلاغية.

وقد عُرف النقد الكلاسيكيفي تحليله للنص بربطه بالمجتمع والتاريخ ونفسية الكاتب، ومع مجيء الاتجاهات الحداثية خاصة البنيوية، اتجهت إلى إبراز جماليته وشعريته وأدبيته بمعزل عن ظروف إنتاجه، إلا أن البنيوية التكوينية تنبهت إلى كون النص لاينتج معزولا عن سياق إنتاجه ولا ينفصل عن مبدعه، فزاوجت بين النص من الداخل والخارج طامحة إلى تأسيس مقاربة نقدية، تُحدث التوازن في النظر إليه.

جاء النقد الثقافي مختلفا عن غيره من أنواع النقد في خلفياته الأبستمولوجية، وطرائق مقاربته للنص الأدبي، ولعل نشأته ارتبطت بالرغبة في إيجاد بديل نقدي لمقاربة مغايرة للنصوص الأدبية التي استهلكت بحثا في ضوء الدرس الجماليّ (دون الالتفات إلى ما الذي تشكله هذه النصوص بالنسبة لحركة المجتمع، وما الذي أسهمت به في تأسيس الهويّة الثقافية للمجتمع؟ وكيف تعمل داخل السياقات الثقافية؟ وكيف تعمل بداخلها أنساق الهيمنة الأيديولوجية للسلطة والمجتمع في آن واحد).[1] يعتمد النقد الثقافي في دراسته للخطابات الأدبية على تتبع الأنساق الثقافية التي تقوم على التحكم والسيطرة في الأشياء وتوجيهها، كما تعمل على تكوين سلوكيات وتصرفات الإنسان الشيء الذي تجعله متفردا عن غيره، ينضاف إلى ذلك قدرتها على استفزاز فكر الباحث ودفعه إلى البحث عن المعنى المضمر المتواري أسفل البعد اللساني للخطاب، واستكناه الدلالات والمعنى الحقيقي الذي أراده الكاتب، ولعل ذلك من أبرز الأسباب والعوامل التي دفعتنا إلى اختيار موضوع الأنساق الثقافية في المجموعة القصصية "أنين الماء"، لمعرفة وفهم طريقة استفحال الأنساق الثقافية في المجموعة القصصية بشكل خفي ومضمر.

الكلمات المفتاحية: الأنساق–الثقافة–المضمر– النص– المجموعة القصصية.

Abstract:

The creator is the son of his environment, and his creativity is the product of apparent and hidden experiences that make him distinguished from other literatures of other cultures in vision, perception and treatment, and since this is the case, literature was an artistic template that contains everything that was deposited in the psyche of the creator, and his unconscious, or his subconscious, as well as embodies the collective consciousness to which he belongs, and his creativity includes its cultural patterns behind its aesthetic expression and rhetorical levels.Classical criticism is accustomed to linking the text to society, history and the psychology of the writer, and with the advent of modernist trends, especially structuralism, it tended to highlight its aesthetic, poetry and literature in isolation from the conditions of its production, but the formative structuralism alerted to the fact that the text is not produced isolated from the context of its production and is not separated from its creator, so it married the text from the inside and outside, aspiring to establish a critical approach, which creates balance in looking at it.Cultural criticism came different from other types of criticism in its epistemological backgrounds, and the methods of its approach to the literary text, and perhaps its emergence was associated with the desire to find a critical alternative to a different approach to literary texts that consumed research in the light of the aesthetic lesson without paying attention to what these texts constitute for the movement of the Majat…

Keywords: structure-culture-implication-text-story collection.

1. تعريف النسق:

النسق لغة: يفيد مصطلح (النسّق) ما كان على نظام واحد من كل شيء. يقال: جاء القوم نسقا، وزُرعت الأشجار نسقا[2].بمعنى وحسن الترتيب، جاء في لسان العرب ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء. وقد نسقته تنسيقا، ويخفف. ابن سيده: نسق الشيء نسقا ونسقه نظمه على السواء...والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعد هجرى مجرى واحدا...وثغر نسق إذا كانت أسنانه مستوية. ونسق الأسنان: انتظامها في النبتة وحسن تركيبها...والنسق: ما جاء من الكلام على نظام واحد، والعرب تقول لطوار الحبل إذا امتد مستويا: خذ على هذا النسق أي على هذا الأطوار، واللكام إذا كان مسجعا قيل: له نسق حسن...والنسق: كواكب مصطفة خلف الثريا، يقال لها الفرود. ويقال: رأيت نسقا من الرجال والمتاع أي بعضها إلى جنب بعض [3]

اصطلاحا: استعمل عالم اللسانيات دي سوسير مصطلح(النّسق/النظام) في محاولته لتعريف اللغة[4]؛ إذ عدّها عبارة عن نسق من يعبّر عن الأفكار؛ ولهذا فهي مشابهة لنسق الكتابة وأبجدية الصم، والشعائر الرمزية، وصيغ المجاملة، والإشارات العسكرية...ولكنّها أعظم أهمية من هذه الأنساق..[5]

والنسق في موسوعة لالاند هو جملة عناصر، ماديّة أو غير ماديّة، يتعلّق بالتبادل، بعضها ببعض، بحيث تشكّل كلاً عضوياً [6]

وفي موضع آخر، أي بنحو خاص، مجموعة أفكار علمية أو فلسفية، متراصّة، منطقيا، لكن من حيث النظر إلى تماسكها بدلاً من النظر إلى حقيقتها، ليس النسق شيئا آخر سوى ترتيب فيه مختلف أجزاء فن أو علم في راتوب تتآزر فيه كلّها تآزراً متبادلاً، وحيث تُفسّر الأجزاء الصغيرةبالأجزاء الأولى [7]

2. مفهوم الثقافة:

يعرّف "تيري ايجلتون Terry Eagleton": الثقافة يمكن أن تكون نموذجا للكيفية التي نعيش بها أو شكلا من هيكلة الذات أو تحقيق الذات أو ثمرة زمرة من أشكال الحياة المعيشيةلجماعة كبرى من الناس وقد تكون الثقافة نقدا للحاضر أو صورة للمستقبل... [8]، ويرى ادوارد سعيد: الثقافةتمتلك عنصرا كونيا يجعلها تسمو على الإقليمية والقومية والمحلي ووالآنية والعرقية والطبقية...إلى آخر ذلك من التصنيفات التي ظلت إلى عهد قريب تثقل كاهل الثقافة .[9]

وجماع القول، إن الثقافة هي مجموعة من الأفكار والعادات والتقاليد والمعتقدات والفنون والمعرفة، وغيرها من المكتسبات التي يتمتع بها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع الذي يعيش فيه.

3. تعريف النسق الثقافي:

يعرّف الغذامي "النسق الثقافي" هو فالأنساق الثقافية هذه أنساق تاريخية أزلية وراسخة ولها الغلبة دائما وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي، المنطوي على هذا النوع من الأنساق وقد يكون ذلك في الأغاني أو الأزياء أو الحكايات أو الأمثال مثلما هو في الأشعار والإشاعات والنكت وكل هذه الوسائل هي جبل بلاغية جمالية تعتمد على المجاز وينطوي تحتها نسق ثقافي ونحن نستقبله لتوافقه السري وتواطئه مع نسق قديم منغرس فنيا.[10]

يقول كلود ليفي شتراوس عن النسق الثقافي فقد نقل مصطلح النسق إلى المحيط الثقافي ليطرح فكرة أن الأبنية الاجتماعية الملموسة والظواهر الثقافية المختلفة إنما هي محكومة بنيات وقوانين خفية، كامنة في اللاوعي الإنساني وهو ما يقتضيه بحثا صريحا في البنيات الثابتة في العقل نفسه.[11]

وعليه فالنسق الثقافي إضافة إلى كونه قناعا يحيل على كلّ دلالة نسقية متوارية تحت غطاء الجمالي فهو يهتم بالبحث عن أنساق همشها الأداء اللغوي.

4. النسق المضمر:

يُعدّ النسق المضمر من المصطلحات المركزية في ترسانة مفاهيم النقد الثقافي، وأحد أكثر المصطلحات أهمية في تكوين حقوله الدلالية؛ فهو ما تواضعت عليه الجماعة ثقافيا ودينيا وأخلاقيا واجتماعيا، وصار مميزا لها من غيرها ومتحكما في السلوك ورؤية العالم والأشياء، ويصعب التخلص منه لأنّه ترسّب في لاشعور الجماعة ووعيها. ويُعرّف النسق المضمر هو طريقة يعبّر بها الأديب عما يريد بعيدا عن مقصد الرقيب إذ يتمكن التدخل بالنسق دون ملاحظة من الرقيب الثقافي المؤسساتي...وتتخذ من المضمر النصي وسيلة للإفصاح عن المكبوت المعارض للنسق المهيمن.[12]

5. التعريف بالكاتبة والمجموعة القصصية:

- **نبذة حول الكاتبة زهرة الرميج:**

زهرة الرميج هي كاتبة وأديبة مغربية، ولدت عام 1950 في مدينة خريبكة. حصلت على الإجازة في الأدب العربي من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، وانخرطت في حركة اليسار خلال دراستها الجامعية، مما ساهم في تشكيل رؤيتها المتعددة الأبعاد للواقع وإيمانها بقيم الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية.

تتميز كتاباتها بالالتزام بقضايا المجتمع وهموم الإنسان، خاصة الإنسان المقهور. قدمت في رواياتها نموذج المرأة المستقلة والمتمردة، ورفضت مصطلح "الكتابة النسائية" معتبرة أن الإبداع لا جنس له.

من أبرز أعمالها:

- "أنين الماء" (مجموعة قصصية)
- "أخاديد الأسوار" (رواية)
- "عزوزة" (رواية)
- "الناجون" (رواية)
- "الذاكرة المنسية" (سيرة ذاتية)

- تعريف بالمجموعة القصصية "أنين الماء":

تضم المجموعة القصصية أنين الماء للكاتبة المغربية زهرة رميج، والتي تُعد واحدة من أبرز الكاتبات المغربيات المعاصرات، عددًا من القصص القصيرة التي تتناول قضايا إنسانية واجتماعية متنوعة بأسلوب أدبي يجمع بين الواقعية والرمزية.

تتميز المجموعة بـأسلوب سردي متنوع يجمع بين السرد المباشر والتلميح الرمزي الذي يثير التفكير. وتناقش المجموعة العلاقات الإنسانية المعقدة، قضايا المرأة، الصراعات النفسية، وتأثير الواقع الاجتماعي على الفرد. وقد عمدت الكاتبة إلى استخدام الماء في هذه المجموعة رمزًا دالًا على الحياة، النقاء، الألم، والتجدد، ويستخدم كعنصر مركزي لإيصال معانٍ متعددة.

اعتمدت الكاتبة على التقنيات الأدبية مثل التصوير البلاغي، والحوارات العميقة، والوصف المكثف لإبراز المشاعر والأفكار.

وقد قدمت زهرة رميج من خلال مجموعتها "أنين الماء" قراءة دقيقة ومؤثرة للواقع الإنساني والاجتماعي، مما يجعل المجموعة إضافة مميزة إلى الأدب المغربي والعربي.

مدخل:

يعد النظر إلى النص الأدبي في ضوء الثقافة التي أنتجته، أحد أهم توجهات الفكر النقدي ما بعد الحداثي، ويشهد هذا التحول على تغيرات نوعية في استراتيجيات التعامل مع النص الأدبي، وأنماط إنتاجه وآليات اشتغاله، حيث توضع مضمرات النسق الثقافي، الأيديولوجية والمعتقدات موضع المساءلة والمراجعة والنقد في ضوء قراءة تعتمد في منطلقاتها على استراتيجيات جديدة تفيد من نظريات القراءة في النقد الحداثي، وما بعد الحداثي. في محاولة معرفية لتجاوزها بتحويل علاقة النص بالثقافة التي أنتجته إلى إنتاج فكري وثقافي، يُغني الرصيد المعرفي للثقافة ويُعيد اكتشاف النص من زاوية أخرى. إنها قراءة تبحث في جدل الثقافي مع الأدبي، بين الأطراف الحاضرة في النص الأدبي، والمستدعاة–بواسطة المؤلف– من الثقافة.

في إحدى حواراته، رفض التشيكي–الفرنسي ميلان كونديرا أن تُصنف رواياته ضمن توصيف الرواية السيكولوجية معتبرا أن أي رواية تعكف في جوهرها على لغز(الأنا) وهي تبتكر شخصية تخييلية، حين تواجه سؤال من أنا؟ أو ماهي الأنا؟[13]

إن كونديرا يشير إلى أمر بالغ الأهمية مفاده أن الرواية (–أي رواية– تقدم حتى في أقصى تخوم واقعيتها أو التزامها بُعدا نفسيا وتنثر بالتالي شحنات الشخوص السيكولوجية في بنية العمل سواء عن طريق الاستبطان الذاتي أو على لسان الراوي العليم.

إن المجموعة القصصية أنين الماء تندرج بعمق ضمن هذا المنحى، حيث يرتقي السارد بالجانب السيكولوجي لشخوصه، فحقيقة القصص مبتكرة وليست ناجزة واقعيا، وإن كانت تتلمس خيوطها الأولى من الواقع ذاته، بل وترتبط عضويا بمن صاغها وبتجاربه الحياتية. لكن "فارغاس يوسا" ينبه إلى أن الحياة المعيشة هي نقطة انطلاق وليس بالضرورة نقط وصول، وأن قوة إقناع الروائي هي أن يقوم بتضييق المسافة الفاصلة بين الوهم والواقع. ويجعل القارئ يتوحد مع العمل، ويسبغ عليه كثيرا من أحواله النفسية.[14] كما أن النص الأدبي عموما في بعض جوانبه وسماته يحتوي في العمق منه على شروط ثقافية لا تتحرك في أفق النص الأدبي بدوافع اللاشعور أو اللاوعي الجمعي فحسب، "وإنما بدوافع واعية مشروطة بحركة الوعي في لحظة تشكله الآني، وكأن النص الأدبي يعيد صياغة الثقافي ولكن من باب المسكوت عنه والمطمور والمغيب في تاريخنا الاجتماعي الثقافي.[15]

ففي المجموعة القصصية أنين الماء، يتأسس الخطاب حول المرأة ضمن دائرة المتن والهامش أو المركز والهامش، حيث يشكل المتن صورة المرأة كما يتمثلها الرجل، باعتباره الآخر المختلف، لكن المهيمن، في حين يتمثل الهامش بوصفه صوت المرأة المقموع الذي يحاول أن يعارض نظرة الثقافة الفحولية "وهذه أنساق ثقافية متجذرة، ظلت تمر دون نقد حتى شكلت أساسا ثقافيا وذهنيا ظل يعاود الظهور ويزيف المشاريع الابداعية"[16]ليبدو الرجعي تقدميا ويتحول التقدمي إلى رجعي. فالخطاب الثقافي والفكري العربي خاضع لنسق ثقافي مضمر تولى صياغة الرأي وتوجيه الموقف من المرأة، فالثقافة العربية والغربية تحيزت ضد المرأة، وانتقصت من قيمتها جسدا وخطابا.

6. الأنساق المضمرة في المجموعة القصصية "أنين الماء":

تتوارى الأنساق المضمرة خلف القناع البلاغي والجمالي، ويشترك كل من المبدع والمتلقي في الإحاطة بها، ومعلوم أن "النسق يتحكم في الوجدان...فهو مرشد للعمل ومسودّة للسلوك، فيجعل الفرد يتصرف وفقه."[17]

إن التفتيش في النسيج اللغوي للنص، وتفكيك جمله الثقافية يفيد في العثور على بعض الترسبات الثقافية التي تصبح عامل توجيه سلوكي بالنسبة للفرد والمجتمع، وتسلط الضوء على طبيعة التفكير والنظرة التي تتبناها الجماعة تجاه العالم والأشياء، وقد أتاح تتبع متن المجموعة القصصية "أنين الماء" الوقوف على مجموعة من الأنساق الخفية، تبرز في الفقرات الآتية مع محاولة تبيان هيمنتها وتأثيرها على السلوك والحياة، ومحاولة تفسيرها وتفكيكها.

- **نسق الأنوثة/الجسد/الخيانة:**

تحتل الأنثى في واقع الثقافة العربية ومتخيلها، مرتبة ثانوية، لذا اصطبغت النظرة إليها دائما بالتقليل من قيمتها ودورها، فهي "ذات مهمشة ودونية، وخارج منظومة القيم والمعايير التي ينتجها التمركز الذكوري المتعالي."[18]

وهكذا تصير المرأة ضحية نظرة ثقافية دونية، تجعلها متهمة مع سبق الإصرار حتى قبل وقوع الإثبات، دون مراعاة خصوصياتها وإنسانيتها وحريتها.

وثمة علاقة معبّرة عن نظرة المجتمعات تربط بين مصطلحات الفحولة والأنوثة، والجسد، والكبت تجعلها في مرتبة أدنى من الرجل، ومن المقاطع السردية ذات الدلالة الثقافية التي تعبر عن ذلك قصة "المرآة المشروخة" يجب على الرجال الأذكياء جدا، أن لا يتزوجوا إلا النساء الغبيات البدائيات، أليس هذا ما تقوله يا هتلر العظيم! لقد اكتشفت أنك محق. وكذا في والحقيقة، أن المرأة التي تلعب هذا الدور هي تلك المرأة البليدة البدائية كما يسميها هتلر العظيم– التي لا يعنيها من حال الدنيا سوى تلبية رغبات زوجها، وتحمل مسؤولية توافه الأمور ليتفرغ لعالمه الخاص. وفي قصة "اليد البيضاء": تتجرئين أيتها المومس الحقيرة على أسيادك؟ ولكن ليس الحق عليك وإنما على المغفل الذي يسقط فريسة سهلة لأحابيلك. .

تضمر هذه المقاطع نسقا مهيمنا يتحكم في نظرة الرجل للمرأة، إذ يقصر نظرته إليها فيما هو جسدي جنسي، وهي نظرة تنقيصية تلغي وجودها، وتلخصه في الجسد والمتعة التي تقدمها، وعليه يتوارى خلف هذا النسق المضمر التصور المسبق تجاه المرأة، وهذه النظرة ضاربة بجذورها في عمق المتخيل الجمعي، فهي من أخرجت آدم من الجنة، وهي فوق ذلك مصدر للغواية والشر.

ويبدو الالتحام بين الشيء والجسد، كعملة واحدة، وحدة تحيل احدها على الاخر، إذ تعد ظاهرة تشيئ الجسد/جنسة الأشياء، ظاهرة غير ملتفت إليها، لأنها تتسم بالغموض والإبهام حيث يعمد الكاتب/الكاتبة إلى تشيء الجسد...بتحويله إلى شيء مادي حينا، أو تحميل الأشياء المادية بدلالات جنسية تحيل إلى الجسد حينا آخر.[19]وهو ما يظهر في المقطع السردي المأخوذ من قصة "المرآة المشروخة" بل إنك الأجمل !...أما الرشاقة فما هي إلا مظهر من مظاهر النهار الزائفة! آه، ما أحلى السمنة في الليل! وهل يستوي النوم فوق والنوم فوق الحصير؟!، وكذا المقطع السردي من قصة "أجنحة السراب" أزلق جسده العاري المتصب عرقا على الفراش الوثير. أسند ظهره إلى لوح السرير الخشبي، وفي قصة "وليمة على إيقاع الهدير" بعد حين، عاد الجسد الأشعر إلى امتطائي من جديد، وافتراس جسدي على إيقاع هدير الأمواج. وارتسمت على الجسد المرمري تشكيلات من أنوار وظلال. أدهشه اكتشاف خريطة هذا الجسد.

ومن تمت قد يكون استحضار الجسد رغبة في تفعيل وتفاعل مع النص، بوصفه جسدا ناطقا بالمسكوت عنه، واصفا التفاصيل الدقيقة في حياة البشر، وعلى هذا الأساس تغدو أعضاء الجسد الحسية فواعل حركية أو ألسنة خطابية أو تعبيرات دلالية أو ممارسات ثقافية،

يتم استخدامها في إيصال خطابات متنوعة الدلالات، تعكس أفكارا باطنة، وتعبر عن أحاسيس متوارية وتجسد ممارسات ثقافية حية ومرئية.[20]

- **نسق الطمع:**

إن المصلحة الشخصية باعتبارها نسقا مضمرا تتحكم في الإنسان من خلال التأثير في سلوكه ومظهره وقيمه، وتجعله ينافق ويكذب ويتصرف على عكس طبيعته حتى ينال رضا الآخرين، وهذا نسق يكاد يظهر في كل الثقافات ويكتسب وجوده الدائم من حرص الإنسان على تحقيق مآربه بأي طريقة كانت بعيدا عن المبادئ، ويمعن المجتمع في تكريس المصلحة نسقا يفرض نوعا محددا من السلوك. ففي قصة "المرآة المشروخة" سعت فطومة إلى استغلال حالة الثمالة التي وصل لها الدكتور لتحقيق نواياها ها قد أصبحت الفرصة لأطلب ما أريد وقولها إني أريد تأمين مستقبلي، أنت تعلم أن دوام الصحة والشباب من المحال، وأني لا أملك ولدا أستند عليه في شيخوختي، إذ يكشف الموقف عن حقيقة فطومة التي تُخفيها، وحرصها على النفاق الاجتماعي وإظهار صورتها الحقيقية التي تُقدّس المادة ولا تُعير اهتماما لما هو إنساني. وهو ما ظهر جليّا في المقطع السردي الآتي قالت وهي تُخفي ابتسامة الرضى التي تكاد تظهر على وجهها: –ولو أن هذا المبلغ يا حبيبي، لا يساوي شيئا أمام ثروتك...

ويُعد النفاق والمصلحة نسقان ثقافيان طارئان يتحكمان في السلوك والمقول ويتمثل في حرص الفرد على تحقيق المآرب الشخصية، وهكذا تشيع ثقافة الأنانية وتتفكك أواصر اللحمة المجتمعية، ونسق الطمع متحكم في سلوك البشر ويصل تأثيره إلى قطع العلاقات وتغيير النفوس، وما إلى ذلك من نتائج وخيمة على المجتمع وتلاحمه وهو ما جاء في قصة "عتبة البيت أو الراوي المحايد "عندما استنجد الشيخ وسكان القرية بالوالي خوفا من اللصوص وقطاع الطرق الذين يتربصون بهم خارج المدينة، إلا أن الوالي غلّب مصلحته الشخصية على مصلحة شؤون رعيته وهو ما نستشفه في المقطع السردي الآتي اسمعوا ! كفاكم جدالا! واجبي تجاه الدولة حماية المركز، وواجبي تجاه أسرتي حماية بيتي، وحماية بيتي تبدأ من عتبته. لذلك لن أفرط في الحراس، ولن اجازف بإرسالهم إلى المشارف! فلتعودوا إلى بيوتكم، وليقم كل منكم بواجبه تجاه بيته!.

- **نسق الفحولة والجنس:**

يشكل نسق الفحولة عنوانا للرجولة ومصدرا للفخر، فهي قرينة القوة والغلبة والشدة، وترتب أساسا بالذكورة، وقد هاجر هذا المصلح من حقل الإبل، وانتقل إلى مجال الشعر لتمييز الشعراء وطبقاتهم، ثم صار يرتبط في وعي الجماعة بالقوة الجنسية التي تمنح لصاحبها مكانة متميزة في المجتمع، وتتيح له أن يرفع رأسه وسط الناس، وتتخذ الفحولة تجليات متعددة، وأي مساس بها يهوي بالرجل في مهاوي العار، ويتعرّى من صفات الرجولة.

جاء في قصة" اليد البيضاء "كانت ليلة الدخلة ليلة لا تنسى، غمرته فرحة لا مثيل لها عندما افتض بكارتي.، يضمر المقطع السردي بين طياته أن الحياة في معتقد الثقافة لا تكتمل إلا إذا ارتبط وجودها بالفحولة التي تبعث في نفس الذكر العنفوان والافتخار، وسلبها يعني سلبا للحياة. وعليه تمثل الفحولة والأنوثة هاجسا للرجل والمرأة، وإن كانت ظاهرة لدى الرجل باعتبار وجوده واستمرار ذكره مرتبط بالنسل، الذي يؤكد فحولته وأحقيته بالوجود الاجتماعي، واعتداد الأسرة به، وإن كان ذات الأمر يشكل همّا للمرأة، لكن الأمر لا يعدو كونه يثير قلقا إشكاليا داخليا لديها، أما فيما يخص علاقتها بالرجل واستمرار ارتباطهما، فإن إثبات فحولته هو المهم، وما هي إلا وعاء لإثبات ذلك، وإعلانه، وفي حال لم تكن مؤهلة، وداعمة، ومحققة لوجوده، يمكن استبدالها بغيرها، دون أدنى اكتراث أو

التفات لوجودها، ولعل في هذا الاتجاه نسقا ثقافيا مضمرا ينحصر في النظرة الهامشية للمرأة وإقصائها إن كانت فاقدة لعذريتها أو عقيمة، قد يرتبط العرف الثقافي للمرأة العربية وأهميتها قيمتها بعذريتها وبقدرتها على الإنجاب، فإن حققت هذين الشرطين حصلت على المكانة التي بها تليق، وإلا فهي سلعة يمكن استبدالها في أي وقت.

ويعدّ نسق الجنس من أكثر الأنساق المتفشية في المجتمعات المحافظة التي يعتبر الجنس فيها مسكوتا عنه وشيئا طوباويا يحرم الحديث فيه، رغم أن هذا الأمر يتعارض مع الدين، ويكبر هذا التصور مع الإنسان، حيث يكون المنع والعقاب وسيلة لتثنيه عن الخوض فيه، وهنا يلجأ الفرد إلى الظل ليبحث ويشبع نهمه منه.

جاء في قصة "على أجنحة السراب" قلت لك ألف مرة، بأني لا أستمتع الحب إلا في الظلام، النور يشوش على رغبتي، ويحد من انطلاقها. وهذه السيجارة هي الفاكهة اللذيذة التي أختم بها الوجبة، ولابد من تناولها أيضا، في الظلام. وكذا في المقطع السردي من قصة "المرآة المشروخة" والحقيقة، أن المرأة التي تلعب هذا الدور هي تلك المرأة البليدة البدائية–كما يسميها هتلر العظيم–التي لا يعنيها من حال الدنيا سوى تلبية رغبة زوجها، وتحمل مسؤولية توافه الأمور ليفرغ لعالمه الخاص. .

ينطوي هذان المقطعان السرديان على نسق ثقافي يهم نظرة الرجل إلى المرأة، وطريقة تفكيره فيها التي تنصرف إلى إشباع غريزته، إذ يختصر المرأة فيما هو جنسي، ويُلغي كل شيء آخر، يمثل شخصيتها ووجودها، والساردة تنطلق من خلفية ثقافية تشكلت عبر قرون من الزمن، تجعل المرأة مجرد وسيلة لإشباع الرغبة الذكورية وتحقيق المتعة لا غير. إذ يأتي التصور للنسق الثقافي الجنسي ثمرة التفاعلات الاجتماعية على امتداد العصور وتحولاتها المستمرة بفعل التطورات والتفاعلات، تتشكل الأنساق، وتنمو وتخرج من حيز القوة إلى حيز الوجود، فتصطبع بها المواقف، ويتشكل بها الوجدان، وينضبط بها السلوك، وتغدو قيمة حياتية تُقاس بها السلوكيات والتصرفات، وترسم ملامح الفرد والجماعة.[21]

خاتمة:

تعدّ المجموعة القصصية أكثر الأشكال الأدبية التي يسمح قالبها باحتواء الأبعاد النفسية والاجتماعية والتاريخية والثقافية، ومن خلال تتبّع حضور الأنساق المضمرة في المجموعة وجردها، تبيّن أن مجموعة "أنين الماء" تُضمر في بنياتها ونسيجها اللغوي أنساقا ثقافية متعدّدة-بالإضافة إلى الجانب الجمالي-تراكمت في لاشعور الجماعة وأصبحت مميّزا ثقافيا، واتّضح من خلال النماذج السرديّة قدرتها الخفيّة على توجيه السلوك والتأثير في الفرد والجماعة، وترد الأنساق المدروسة في سياق النقد والمساءلة ومحاولة التجاوز-ما بين نسق مباشر وآخر خفي-، ويظهر أنّ هيمنتها تتجاوز المتوقّع، لأنّها مستقرة في اللاشعور وثاوية في البنية الذهنيّة.

الهوامش:

[1] سمير الخليل: دليل مصطلحات الدراسات الثقافية والنقد الثقافي، إضاءة توثيقية للمفاهيم الثقافية المتداولة، بيروت، دار الكتب العلمية، 2016م، ص297.

[2] مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، مادة (نسق).

[3] ابن منظور، لسان العرب، حقّقه: عامر أحمد حيدر، وراجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، بيروت، دار الكتب العلمية، 2003م، مادة(نسق).

[4] يُراجع، الكعبي، رائد حاكم شرار، الأنساق الثقافية في كتاب الأغاني، رسالة ماجستير، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، 2013م، ص2.

[5] دي سوسير، فرديناند، محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2008م، ص31.

[6] لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، مج:A-G، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م، 1417.

[7] لالاند، أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، مج:A-G، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 2001م، 1417.

[8] تيري ايجلتون، نحو أفق دراسة نسقية للظاهرة الأدبيةوتاريخ الأدب، مجلة العلوم الاجتماعية، 2016، ص277.

[9] ادوارد سعيد، الثقافة والمقاومة، دار الآداب، لبنان، ط1، 2006، ص10.

[10] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط3، 2005م، ص76.

[11] سعد علي المرعب جعفر، النقد الأنثوي، ديوان عبلة بنت المهدي، مجلة المركز بابل للدراسات الإنسانية، 2018م، ص55.

[12] فلاح محمد محمود، الشخصية المهمشة في ضوء مجموعة ضوء العشب القصصية لأنور عبد العزيز، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، 2020م، ص36.

[13] ميلان كونديرا، فن الرواية ترجمة بدر الدين عرودكي، دار الأهالي، مصر. ط1، 1999، ص29.

[14] ماريو فارغاس يوسا، رسائل إلى روائي شاب، ترجمة: صالح علماني، دار المدى، 2005م، ص30.

[15] عبد الله الغذامي: النقد الثقافي ص250.

[16] محمد الحرز:شعرية الكتابة والجسد، دراسات حول الوعي الشعري والنقدي، مؤسسة الانتشار العربي بيروت ط1، 2005م ص124.

[17] يُراجع، عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص77.

[18] بوحسون: جدل الأنساق الثقافية المضمرة في رواية اعترافات امرأة للكاتبة عائشة بنور، مؤسسة مقاربات للنشر، مجلة مقاربات، العدد 24، 2016، ص69.

[19] أحمد علواني: الجسد بين المتخيل السردي والنسق الثقافي، طنطا، دار التابغة للنشر والتوزيع، 2019م، ص227.

[20] علواني أحمد، الجسد بين المتخيل السردي والنسق الثقافي، طنطا، دار النابغة للنشر والتوزيع، 2019م، ص227.

[21] حسن بوحسون: جدل الأنساق الثقافية المضمرة في رواية اعترافات امرأة للكاتبة عائشة بنور، مؤسسة مقاربات للنشر، مجلة مقاربات، العدد 24، 2016م، ص62.